العدد 2673 - السنة التاسعة
الأحد 24 ربيع الآخر 1438 - الموافق 22 يناير 2017
Sunday 22 January 2017 - No.2673 - 9th Year

من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

ألم نجعل الأرض مهاداً؟

إذا أمركم الله عزّ وجل أن تتدبروا آياته، كيف التدبر؟ قوله تعالى:
لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا
[سورة النبأ الآية: 6]
الله سخر الأرض للإنسان لتكون مستقرة ومهيئة لاستقباله
يوقظ الله سبحانه وتعالى أفكارنا، ينبّه عقولنا، يلفت انتظارنا، قال تعالى:
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا
[سورة النبأ الآية: 6]
أي هذه الأرض جهّزت لكم أيها الناس، هُيّئت لاستقبالكم، هل فكرتم في ذلك؟ هل فكرتم أن الله جعل هذه الأرض مستقرة، تقطع في كل ثانية ثلاثين كيلو متر؟ وهذه الخطبة منذ أولها وحتى الآن قطعت مئات الآلاف، هل تحرك شيء؟ هل اهتز جدار؟ هل تشقق سقف؟ قال تعالى:
إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا
[سورة فاطر الآية: 41]
الزلازل المدمرة تعرفنا نعمة استقرار الأرض
من جعلها مستقرة، وهي متحركة، تبني البناء، لو أنها تهتز قليلا، لانهار البناء، وتهدم البنيان، وتقطعت الجسور، ولردمت الترع، من جعلها مستقرة، ولئلا تبقى في غفلة، أعطاك الزلازل نموذجا؟.
زلزال يجعل الأرض عاليها سافلها في ثلاث ثوان، ثلاثمئة ألف بلا مأوى، في ثوان معدودة تصبح مدينة بأكملها تحت أطباق الثرى، قال تعالى:
إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا
[سورة فاطر الآية: 41]
هلا فكرتم في هذه الآية، قال تعالى:
إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا
[سورة فاطر الآية: 41]
من جعلها مستقرة، وهي متحركة، وحركتها متبدلة، لأن مسارها حول الشمس، مسارٌ إهليلجي، ولهذا الشكل البيضوي، نصف قطر صغير وآخر كبير، فإذا وصلت الأرض إلى نصف القطر الصغير، جذبتها الشمس، لئلا تنجذب تزيد من سرعتها زيادةً تدريجية، ينشأ عن هذه الزيادة، قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، أإله مع الله؟، من يستطيع في الكون كله أن يبقي الأرض على مسارها؟ قال تعالى:
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
[سورة فاطر الآية: 28]
من جعل الأرض على مسارها؟ من جعلها تزيد من سرعتها إذا اقتربت من القطر الأدنى؟ يد من؟ يد الله سبحانه وتعالى.
ما هي النتائج التي تحصل لو أن الهواء انفصل عن الأرض ؟
من وفر في الأرض الهواء، ولو كان منفصلاً عنها لنشأت عواصف، سرعتها ألف وستمئة كيلو متر في الساعة، أصاعيد الأعاصير المدمرة لكل شيء على الأرض، لا تزيد سرعتها عن ثمانمئة كيلو متر، الرياح المدمرة بالمئتي كيلو متر، بالثمانمئة كيلو متر لا تبقي ولا تذر، لا تبقي بيتاً فوق الأرض الريح المدمرة تعرفنا نعمة الرياح اللطيفة
لو أن الهواء شيء، والأرض شيء، والأرض تدور، لنشأت أعاصير سرعتها ألف وستمئة كيلو متر في الساعة، أم من جعل الأرض قرارا؟ ألم نجعل الأرض مهادا؟ هواءٌ مع الأرض، ومتحرك، هناك رياحٌ لطيفة، رياحٌ معقولة، تبدّل الأجواء، تنقي الأجواء، وهكذا.
آيات عدة في نظامنا الكوني تدعونا إلى التفكير بعظمة الله جل جلاله :
من وفر لهذه الأرض أشعة الشمس الدافئة المنيرة، المعقمة؟ من وفر الطعام والشراب؟ من خلق النبات؟ آية النبات آية عظمى، من أعطى الأرض الحرارة المناسبة، لو أنها توقفت عن الدوران، لأصبحت حرارتها ثلاثمئة وخمسين درجة في النهار، ومئتان وخمسون درجة تحت الصفر في الليل، من جعلها بدرجات معتدلة، تتوافق مع أجسامنا؟ من جعل الليل والنهار بطول يساوي حاجتنا إلى النوم والعمل؟.
الأرض هيّأها لك، وجعل لك قدمين تسعى بهما، ويدان تعمل بهما، وعينين تبصر بهما، وعقل تدرك به الحقائق.
ما هو الهدف من التفكير في صنعة الخالق ؟
إذا قرأتم القرآن الكريم، لا تقرؤوه هكذا، توقفوا عند آياته، تأملوا فيه، ألم نجعل الأرض مهادا؟ كيف هيأها لك؟ كيف جعلها بحجم، وبسرعة، وباستقرار مع الماء، والهواء، والشمس، والنبات، والحيوان، والتضاريس، والليل، والنهار، والحركة، والجاذبية، بشكل يوافق حاجاتك؟ وجعل لك قدمين، ويدين، وعينين، وأذنين، وقوة مدركة، وقوة عاقلة، ولسانا طليقا يتحدث ويبين.

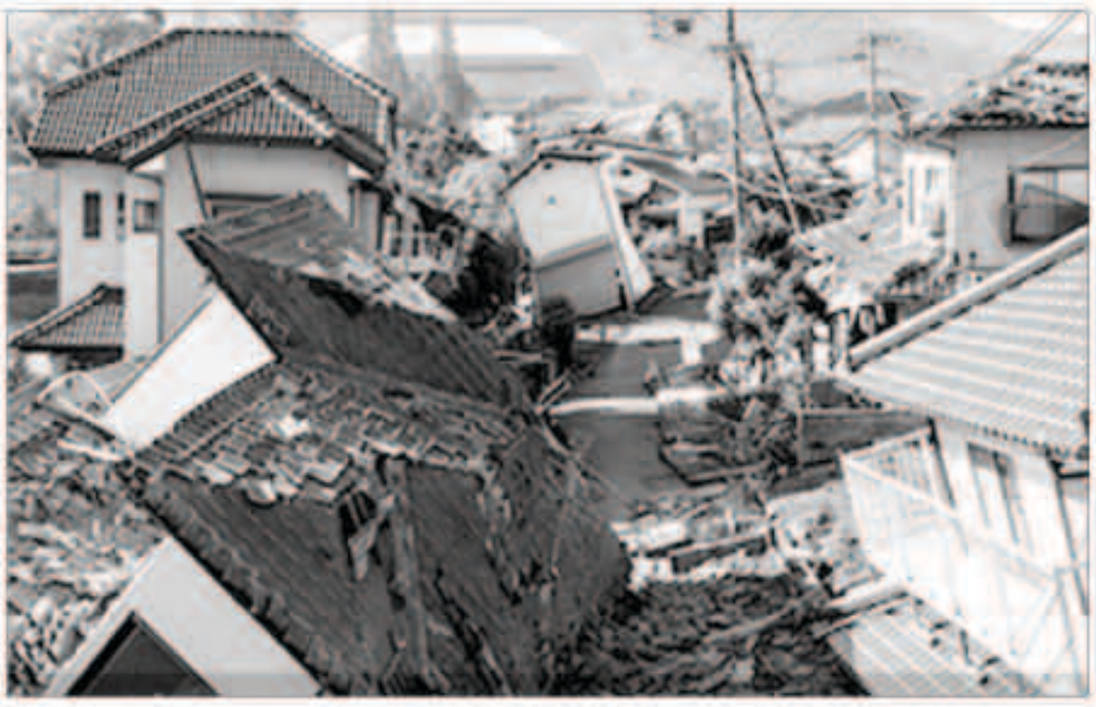

ابتسموا

ابتسامتك لن تكلفك كثيراً أو تأخذ من ميزانيتك درهما إذا مافعلتها واطلقت البشاشة في وجه الآخرين!
نقول ذلك والبعض من الناس من شدة عبوسه الدائم تشعر وكأنه فاقدا أسنانه بعد أن يستكثر اطلاق ابتسامته في وجه الآخرين لاسيما الفقراء والمساكين.
وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:
(تبسمك في وجه أخيك صدقه).
من هذا المنطلق لابد من أن نرسم لوحة جميلة على محيانا وهي لغة العصر التي لاتحتاج الى ترجمة !
فهل تكلفك عزيزي القارئ تلك الابتسامة شيئا؟!
بالطبع لا ، فهي لن تكلفك وقتاً ولا جهداً ولا مالا
بل ان الابتسامة الصادقة معها تحريك المشاعر الجميلة وينشرح الصدر ويرتاح القلب وتنتشر الألفة بين الناس.
ولعل اكثر من يحتاج تلك الابتسامة هم الذين يقابلون الجمهور ويتواصلون معهم باستمرار كالمعلم في المدرسة والشيخ في درسه واولياء الامور مع ابنائهم والتاجر مع الفقير ، لاسيما اذا كان في متجره اثناء تعامله مع الزبائن وقد قيل حول التاجر (إن الذي لا يحسن الابتسام لا ينبغي له أن يفتح متجرا)!
وباطلاق العنان لابتسامتك تكسب الأجر باذنه تعالى من رب العباد وتسحر بذلك الأفئدة والالباب وهي إحدى وسائل غرس الألفة والمحبة بين البشر كما انها سنة نبوية ووسيلة دعوية، ومفتاح للقلوب.
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر الناس هما لكنه كان اكثرهم تبسما.
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلّ معروف صدقة، وإنّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) رواه الترمذي.

يوسف عبدالله السعدون

زوجة سيدنا أيوب .. وأروع مثال للصبر والإرادة

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآيات: 155-157).
الصبر مطية لا تكبو، وأفضل عدة على الشدة، وأكرم وسيلة لنيل رضاء الله عز وجل، والحصول على الآمال الطيبة المعقودة بمرضاة الله، ما أجمل الصبر! إنه ربيع الأبرار ومصيف الأخيار.
وإذا كان الصبر قوام الحياة كلها، فإنه ألزم ما يكون في ساعة المحن التي يبتلي الله تعالى عبده بها، فهنا يكون الصبر مفروضا عليه، لتنقلب المحنة في حقه إلى منحة، وتتحول البلية إلى عطية، وكما يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - إن الله - سبحانه وتعالى - لم يبتله ليهلكه؛ وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته.
وسنتكلم عن امرأة أيوب عليه السلام، حيث هي من النساء التي خلدها التاريخ في صبرها مع زوجها عليه السلام، وأيضا هي من اللاتي تركن أنصع الآثار في دنيا النساء الفضليات.
اسمها: ليا بنت يعقوب، وقيل: ليا بنت منشا بن يعقوب، وقيل اسمها رحمة بنت أفرائيم، واستدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء، آية: 84)، قال ابن كثير معلقا على هذا يشير إلى فهمه: ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال: "رحمة" من هذه الآية، فقد أبعد النجعة، وأغرق النزع.
ليا وحياة النعيم:
فقد كان أيوب -عليه السلام- أحد أغنياء الأنبياء، وكانت ليا زوج أيوب تعيش في نعيم وجنات وعيون، وذلك في بلاد الشام، كانت ليا قد آمنت مع أيوب وبدعوته، فقد كان أيوب -عليه السلام- برا تقيا رحيما، يحسن إلى المساكين، ويكفل الأيتام والأرامل، وكان شاكرا لأنعم الله عليه، مؤديا لحق الله عز وجل، كان أيوب له أولاد، وأهلون كثير، وكانت زوجه ليا ترفل في النعيم، شاكرة عابدة عارفة حق الله على العباد في الشكر، فقد كانت تكثر الحمد والشكر والثناء على الله عز وجل، إذ رزقها من البنين والبنات ما تقر به عينها ولا تحزن، وأوسع عليه وعلى زوجها من الرزق شيئا مباركا، وفضلهما على كثير من خلقه.
إلا أن زوج أيوب ليا خضعت لامتحان رباني فيما أتاها الله وزوجها، فنجحت في هذا الامتحان بتوفيق من الله، وبرهنت على صدقها مع الله سبحانه.
صديقة بارة:
قال الحسن رحمه الله: ضرب أيوب بالبلاء ثم البلاء بعد البلاء بذهاب الأهل والمال، وصبر أيوب -عليه السلام- وصبرت زوجه ليا صبرا جميلا، فقد تعودت أن تكل أمرها إلى الله عز وجل.
إلا أن أيوب قد ابتلي في جسده، ومسه الضر، وطال بلاؤه ومرضه أياما وأعواما، وهو في ذلك كله صابرٌ محتسب، ذاكر الله في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه، وفي كل وقت، طال مرض أيوب -عليه السلام- حتى كاد ينقطع عنه الناس، ولم يبق أحدٌ يحنو عليه سوى ليا زوجه، فقد كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها عندما كان في بحبوحة من العيش، وبسطة من الصحة والجسم، فحينما نقرأ مثل هذه المعاني الجميلة نحن معشر النساء، علينا أن نتأمل حالنا ونتفقد كيف نكون مع أزواجنا حال الصحة، وحال الابتلاء هل نصبر كـ"ليا"، أو لا نستطيع ذلك!
إذا كان الجواب: نعم، سنكون كما هي زوجة أيوب عليه السلام، فلنبادر أولا مع أنفسنا، ثم مع أزواجنا، ثم مع من حولنا، وإذا كان الجواب: لا، فلماذا لا نكون كذلك؟
ارتقت ليا زوج أيوب -عليه السلام- منزلة مباركة وعالية في مقام الصدق، واقتعدت مكانا عليا في منازل الأبرار، حيث عاشت مع زوجها في محنته التي امتدت قرابة ثماني عشرة سنة، وكانت مثال المرأة البارة ومثال الزوجة الصابرة الراضية بقضاء الله وقدره.
ولهذا وصفها ابن كثير - رحمه الله - بقوله: الصابرة، والمحتسبة، المكابدة، الصديقة، البارة، والراشدة، رضي الله عنها، فقد أشفقت ليا على زوجها أيوب -عليه السلام- إشفاقا شديدا ورثت لحاله، فلما رأت أن زوجها طال عليه البلاء، ولم يزدد إلا شكرا وتسليما، عندئذ تقدمت منه وقالت له فيما رواه ابن عباس -رضي الله عنه-: يا أيوب، إنك رجل مجاب الدعوة، فادع الله أن يشفيك.
فقال: كنا في النعماء سبعين سنة، فدعينا نكون في البلاء سبعين سنة، ولما سمعت ليا من زوجها أيوب هذا الكلام الذي ينضح بالإيمان والتسليم والانقياد لله، وعرفت أنها لن تدرك منزلته، ولكنها استمرت في الإحسان إليه، وحفظت وده لإيمانها بالله تعالى وبرسوله أيوب، إلى أن كشف الله عنه الضر، ومسته نفحة ربانية فعاد صحيحا سليما.
وقد أثنى عليه الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (سورة ص آية 44).
جاء الفرج الإلهي وجاءت الوصفة الطبية الربانية لأيوب: أما صفة هذه الوصفة الربانية فموجودة في القرآن الكريم والذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (سورة ص آية 42) أمر الله أيوب أن يضرب برجله الأرض، امتثل أيوب أمر ربه، ومس الأرض، فنبع منها الماء نقيا عذبا فراتا سائغا، فشرب منه فبرأ ما كان في بطنه من دقيق السقم وجليله، واغتسل فبرأ من ظاهره أتم براءة، فما كان يرسل الماء على عضو إلا ويعود في الحين أحسن ما كان قبل بإذن الله تعالى، أما زوج أيوب فقد كانت في طريقها إلى أيوب، لم تكن معه ساعة اغتسل من الماء، وعندما وصلت نظرت إليه، فلم تعرفه بادئ الأمر، ولما أخبرها بما أكرمه الله، وبما منّ عليه من الشفاء، سجدت شكرا لله تعالى ثم قالت: إن ربي على كل شيء قدير، وإنه يحيي العظام وهي رميم.

عظمة الإسلام .. والرحمة بالأسرى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكّوا العَانِيَ[1]، وأطعموا الجائع وعُودوا المريض»[2]. ولما جاء رجل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة، فقال: يا رسول الله علّمني عملاً يُدخلني الجنة فقال صلى الله عليه وسلم: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة». فقال: يا رسول الله أوليستا بواحدة قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ عتق النسمة أن تفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها»[3]. لم يكن حث الرسول صلى الله عليه وسلم على العفو عن الأسرى، والمن عليهم أمرا خياليًا نجمّل به صورة المسلمين، بل كان أمرًا واقعيًا أفرز مجموعة من المواقف يعجز المرء عن استيعاب عظمته، وأجمل ما فيها أنها لم تكن مواقف عابرة حدثت نتيجة ظروف خاصة، أو تحت ضغوط معينة، إنما كانت منهجًا ثابتًا، وسُنّة ماضية، وتشريعًا خالدًا استحال أن يجود الزمان بمثله، أسيرا سرية نخلة من الأمثلة التي تظهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه عن أسرى أعدائه ما كان في سرية نخلة، فقد أسر المسلمون في هذه السرية -وكانت في رجب من السنة الثانية من الهجرة- اثنين من المشركين هما أول أسيرين في الإسلام: الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله، فأما الأول -الحكم- فنظرًا لما وجدَهُ من المعاملة الكريمة فإنّه أسلمَ وحسُنَ إسلامُه، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استُشهد يوم بئر معونة في السنة الرابعة للهجرة، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرًا..[4] ومع أنّ هذين هما أوّل أسيرين يظفر المسلمون بهما بعد طول العناء والتعذيب من مشركي مكة الذين يتنسب لهم هذان الأسيران؛ إلا أن ذلك لم يكن دافعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسّهما بأذى، بل على العكس كان الإكرام والصفح عنهما، وهذا الموقف له دلالات كبيرة جدّ، حيث إنه وضّح من البداية سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأسرى، ومع أنّ هذا كان من الممكن أن يُطمع فيه المشركون إلا أنها سياسة الرحمة التي لا بديل عنها في الرؤية النبوية، وقد ازداد هذا المعنى رسوخًا عندما رأينا رؤيته للتعامل مع أسرى بدر بعد أقل من شهرين من سريّة نخلة. أسرى بدر كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، وقد تمّ النصر فيها للمسلمين مع قلة عددهم وعُدّتهم! بل إنهم مع هذا النصر أسروا من المشركين سبعين، واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم في شأن هؤلاء الأسرى، وماذا يفعل معهم؟ يروي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوّة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا، فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟»، قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه، وتمكّن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهْوَ ما قلتُ -أي عمر- وأخذ منهم الفداء.[5] وعلى الرغم من نزول الآيات بعد هذا الموقف تعاتب النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بالرفق واللين مع هؤلاء الأسرى في هذا الموقف ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68]. رغم ذلك؛ لم يكن هذا دافعًا لأن يُسيء الرسول معاملة هؤلاء الأسرى، أو يُغيّر من تعامله معهم بعد أن أخذ قرارًا بإعفائهم من القتل، وقبول الفدية ممن يستطيع منهم. وقد تفاوت مقدار هذه الفدية بحسب حالة كل أسير.. فقد أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأسرى كعمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر. ومن الأسرى من كان يفدي نفسه بالمال، وكان صلى الله عليه وسلم يُراعي الحالة المادية لكل أسير، فمنهم من دفع أربعة آلاف درهم كأبي وداعة، وأبي عزيز واسمه زرارة بن عمير -وهو أخ لمصعب بن عمير - دفعتها أمه، وكانت صاحبة مال وفير، ومنهم من دفع مائة أوقية كالعباس بن عبد المطلب، ومنهم من دفع ثمانين أوقية كعقيل بن أبي طالب، وقد دفعها له العباس، ودفع بعض الأسرى أربعين أوقية فقط[6]. أمّا من لم يكن معه مال، وكان يعرف القراءة والكتابة فكان فداؤه أن يُعلّم بعض المسلمين القراءة والكتابة؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار[7]. ومن هؤلاء الأسرى من منّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بغير فداء مثل: المطلب بن حنطب، وأبي عزة الشاعر، وصيفي بن أبي رفاعة[8]. ومن الواضح أنه تم إطلاق سراح من بقي من أسرى بدر خلال أقل من عام من غزوة بدر، ومما يؤكد هذا الأمر أن المشركين في أحد لم يتفاوضوا على أيّ أسرى. أسرى الحديبية وهذا من مواقف الرحمة العجيبة في السيرة! قال عبد الله بن مغفل المزني : «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فأخذ سهيل بن عمرو بيده فقال: ما نعرف بسم الله الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: «اكتب باسمك اللهم» فكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله » فكتب، فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابًا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله فأخذ الله بأبصارهم فقدمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله : «هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أمانا؟» فقالوا: لا فخلى سبيلهم فأنزل الله : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: 24] » [9]. فهذا عفو في موقف عجيب، فالمسلمون ممنوعون من دخول مكة، وقريش قد أعدت العدة لحربهم، ومع ذلك لا يأخذ الرسول هؤلاء الأسرى رهينة، بل يمن عليهم بغير فداء، ولا يجعلهم ورقة ضغط على المشركين حتى في هذا الموقف الصعب! إنها الرحمة في أرقى صورها! ويتكرر بعد صلح الحديبية موقف آخر عجيب من مواقف الرحمة والعفو! يقول سلمة بن الأكوع : «ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا قال: وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه وأحسه وأخدمه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله فأبغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا للمهاجرين قتل ابن زنيم قال: فاخترطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثا[10] في يدي قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله قال: وجاء عمي عامر[11] برجل من العبلات[12] يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله على فرس مجفف[13] في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه» فعفا عنهم رسول الله [14]»[15]. هكذا ببساطة.. لم ينتقم، فيسفك الدماء، وينتهك الأعراض، وينهب الدور، بل العفو هو شيمته في كل وقت، وفي مواجهة كل عدو، أسرى مكة وهذا من أعظم المواقف في السيرة النبوية -وخاصة إذا وضعت التاريخ المظلم لقريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقد فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، ودان له كل من فيه، وأصبحوا ملك يده ، وله حق التصرف فيهم كما يشاء، فماذا فعل ؟ لقد قال لهم صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]. ثم قال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال صلى الله عليه وسلم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[16]. ويتضح لنا بجلاء من لفظ الطلقاء أنهم كانوا في حكم الأسرى، ومن عليهم الرسول بإطلاق سراحهم، ولم يمسهم بأدنى سوء؛ بل إنه أكرمهم وأنزلهم منزلة عالية، مما يدل على سمو أخلاقه ورحمته . أسرى هوازن بعد غزوة حنين غنم المسلمون غنائم كثيرة من الإبل والشياه، وأسروا عددا مهولا من المشركين بلغ في بعض الروايات ستة آلاف[17]، وبعد انتهاء توزيع الغنائم بكامله.